العدد: 01/ مارس 2024 المجلد: 19 ISSN: 1112-7015
ص:595-605 EISSN: 2602-5973

القضايا السّياسية في الرّواية الجزائرية المعاصرة
رواية أنا وحاييم للحبيب السائح -انموذجا-

Political issues in the contemporary Algerian novel
Ana wa Hayim's novel by Al-Habib Al-Sa'ih -a model-

ط.د/ حسين عبد الحكيم *[1]، د/ بوصبع رابح[2]
مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب
[1] المركز الجامعي الشريف بوشوشة -أفلو (الجزائر)، a-houcine@cu-aflou.edu.dz
[2] المركز الجامعي الشريف بوشوشة -أفلو (الجزائر)، Rabeh.bousbaa@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023/06/08	تاريخ القبول:2023/12/06	تاريخ النشر: 2024/03/30

****

ملخص:

تروم هذه الدراسة إلى الكشف عن أبرز القضايا السّياسية التي طغت على الرّواية الجزائرية المعاصرة والتي عكست الواقع بمختلف تجاذباته وتغيراته ، كما أنّها سعت إلى معالجة مختلف الأحداث في المجتمع وفق نظرة إبداعية إستشرافية ، واخترنا نموذجا رواية أنا وحاييم للحبيب السائح ، الذي كان ملما بقضايا مجتمعه في كل رواياته ، وخاصة هذه الرّواية التي بين أيدينا ، حيث حملت عدة قضايا سياسية متعلقة بالمجتمع الجزائري إبان الاستعمار الغاشم وبعد الاستقلال ، فحاولنا إبراز هذه القضايا ومدى تمكن الحبيب السائح من معالجتها ، وعرض مقومات الهوية الجزائرية التي واجهت كل هجمات الاستعمار البائسة ، لتبين مدى ثباتها وانفتاحها على الآخر ، وتهدف هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية : ماهي أهم القضايا السّياسية التي تناولتها الرّواية الجزائرية المعاصرة؟.

الكلمات المفتاحية: الرّواية؛ الجزائرية؛ المعاصرة؛ القضايا السّياسية؛ أنا وحاييم .

***ABSTRACT* :**

This study aims to reveal the most important political issues that have dominated the contemporary Algerian novel, which reflected reality with its various attractions and changes, and it also sought to treat various events in society according to a creative and forward looking view, and we chose the model of Ana wa Hayim by Al-Habib Al-Sa'ih, who was familiar with the issues of his society in all his novels, especially this novel in our hands, as it carried several political issues related to Algerian society during colonization and after independence, so we tried to reveal these issues and the extent that Al-Habib Al-Sa'ih was able to treat them, and the presentation of the components of the Algerian identity, which faced all the miserable attacks of colonialism, to show the extent of its stability and openness to the other, and the aim of this study is to answer the problematic question: What are the most important political issues addressed by the contemporary Algerian novel.

***Keywords**: novel; Algerian; contemporary; political issues; Ana wa Hayim.*

* المؤلف المرسل: ط.د/ حسين عبد الحكيم، a-houcine@cu-aflou.edu.dz

1. مقدمة:

لقد اهتمت الرّواية الجزائرية المعاصرة بقضايا المجتمع ، وسعت إلى تجسيدها في بنيتها السّردية ، ولما كانت ثورة التحرير ملهمة المبدع الجزائري ، فإنّ أغلب الرّوايات تضمنت الحديث عن الثّورة التحريرية وعن جرائم المستعمر المستبد والتي بقيت راسخة تشهد على همجيته وعدوانيته ، هذه الجرائم التي قام بها في كلّ أنحاء الوطن ، ظنّا منه أنّه يستطيع طمس الهوية الوطنية ، فاصطدم بشعب متمسك بمبادئه متعطش للحرية .فلقد جسدت رواية أنا وحاييم للروائي الجزائري الحبيب السائح عدة قضايا سياسية كانت أغلبها متعلقة بالاستعمار والثورة التحريرة وكذلك الجزائر غداة الاستقلال ، حيث حاول المبدع من خلال عرض أهم القضايا السّياسية التي طغت على فترة مهمة من تاريخ الجزائر ، كما تعالجت الرّواية قضية مهمة متعلقة بالهوية، حيث أبرزت ثبات الأنا في مواجهة كلّ السياسات الإستعمارية الخبيثة الهادفة إلى إغراق الجزائر بثقافات أجنبية بغية تمييع الهوية الجزائرية الأصيلة الضاربة في عمق التاريخ ، ولكن الأنا ظلت تقاوم كل هذه الهجمات بثباتها ومقاومتها ، كما أستطاعت أن تنفتح على كلّ الثقافات الأخرى لتبين مدى تحضر وتسامح المجتمع الجزائري الذي لقيت قضيته التأييد العالمي ، استطاع الجزائريون كسب كل تأييد الشعوب ، بما فيهم المعمرون الذين جلبهم الاستعمار لبسط نفوذه ، ولكن سرعان ماأدركوا همجتمه وعنفه اللاإنساني، وهذا ماسنجده جليا في الرّواية التي بين أيدينا ، حيث أنّ حاييم اليهودي انبهر بسماحة الدّين الإسلامي ، وتعايش الأنا مع الآخر ، وهذا ماجعله يقف مع صديه الجزائري المسلم ، ضد عدوان المستعمر الغاشم .

2. الرّواية:

من أوسع الأجناس الأدبية التي انصهرت داخلها أنواع أدبية عديدة ، وهي من أقرب الأنواع الأدبية إلى حياة الإنسان (أنّ ثمة تعالقا صميميا بين الرّواية والحياة ، ليس فقط في حيوية شكلها وحراك أساليب انتظامها، بل أيضا في اتّصالها بكينونة الإنسان في هذا العالم) [1]، كما أنّها اهتمت بتسجيل أحداث المجتمع وتاريخه وحفظ مقوماته وعاداته وتقاليده (الرّواية في هذا الإطار بمثابة خزانة الحكايات التي تحفظ المزايا المجتمعية والأنثروبولوجية لكلّ جغرافية بشرية ، ويمكن من خلالها الإطلالة على العادات والتقاليد وأنماط العيش)[2]، فهي بمثابة الأرشيف الذي يحتوي على كلّ مايتعلق بالمجتمع ، ويتطلب ذلك روائيا ذاخبرة بقضايا مجتمعه حتى يستطيع تجسيدها في عناصر البنية السردية ، ولم تكتف الرّواية بالجانب الحكائي والتّسلية بل تطورت لتصبح أداة لعرض أفكار المجتمع المختلفة (أصبحت الرواية ، في منتصف القرن العشرين ، أوسع أزياء التعبير الأولية انتشارا ، و بينما كانت في الماضي وسيلة للتسلية وإشباعا سهلا للمخيلة ، وللعاطفة، أضحت تعبر اليوم عن القلق والسرائر والمسؤوليات التي كانت فيما يمضى موضوع الملحمة والتاريخ)[3]، انتقلت الرّواية من وسيلة للتسلية في القرون الماضية إلى أداة للتعبير عن تاريخ المجتمعات ومناقشته أي أنّها أضحت تلعب دور المؤرخ والمحقق في ذات الوقت فمصطلح الروائي أضحى يحمل في طياته أكثر من بعد ، هذا التطور الذي شهدته الرّواية لم يشهده جنس أدبي آخر بسبب انفتاحها على مختلف الأنواع الأدبية والعلوم المختلفة، بل تطورت الرّواية حتى أصبحت تملك رؤية استشرافية لواقع المجتمعات (فالرّواية باتت اليوم مصنعا يعج بالخبرات التي يتعامل معها الروائي ليخرج في النهاية بعمل صائب يصب في هدف فتح آفاق جديدة أمام الوعي البشري وتوصيف التضاريس التي تواجه الجنس البشري بكلّ معوقاتها، بل ذهب البعض إلى أنّ الرواية الجيدة المصنوعة بشغف

يمكن عدّها فرعا من الدراسات الخاصة بالتنبؤ بالمستقبل)[4]، الحمولة الثقافية والمعرفية والسّياسية التي يحملها الروائي جعلته قادرا على التنبؤ بالمستقبل وتوقع الأحداث والمشاكل والعقبات التي تواجه مجتمعا معينا ، فالرواية انتقلت من أدات للتسلية والحكاية إلى فرع ممن فروع الدراسات المستقبلية ، كلّ هذا التطور الذي شهدتها الرواية كان نتاج الخبرة الثقافية والمعرفية التي اكتسبها الروائي من خلال احتكاكه بمجتمعه ، فالروائي اليوم أصبح يكتب بدقة ويسطر الأهداف التي يريد أن يصل إليها (وأنّ الروائي الجديد لايشتغل وفق منظور فطري تلقائي ، بل يكتب بوعي مايكتب ويصمم عوالمه ودلالاته وفق منهجية صارمة واعية تعتمد من جهة على خبرته الحياتية ، ومن جهة على معرفته بالبنيات السّردية الروائية)[5]، ومنه فالرّواية اليوم أصبحت تهتم بقضايا المجتمع المختلفة وتعرضها في شكل سردي ومنها القضايا السّياسية المحتلفة .

3. الرّواية والسّياسة:

أضحت الرّواية ديوان العرب تنقل آمالهم وآلامهم ، فهي شديدة الارتباط بالواقع وبكل جوانبه الاجتماعية والسّياسية، ولأنّ السّياسة هي المحرك الأساسي للشعوب والمسير لها وفي هذ الصدد نماذج تاريخية كثيرة ولعل أهمها النماذج السياسية على الصعيد العالمي هي الرواية والثورة الفرنسية ، أمّا على الصعيد المحلي فنجد نماذج متعددة واكبت متغيرات المعطى السياسي في الجزائر بداية من محمد ديب مرورا بطاهر وطار ورشيد بوجدرة والحبيب السائح وغيرهم الكثير ، حيث برزت في هذا النطاق من خلال البنية الفنية للرّواية وتيمتها بهدف إقناع المتلقي بفكرة معينة ، فالرّواية السّياسية هي (الرواية التي تلعب فيها القضايا والموضوعات السّياسية الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وكاتب الرّواية السياسية ليس منتميا –بالضرورة- إلى حزب من الأحزاب السّياسية ، لكنّه صاحب إيديووجية، يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني)[6] ، تغلب القضايا والموضوعات السّياسية على الرّواية حتى تصنف على أنهّا رواية سياسية ، والتي يهدف من خلالها الرّوائي إلى إقناع القارئ بفكرة أو رأي سياسي ، ويكون ذلك بشكل واضح أو ضمني من خلال البنية الفنية للرواية ، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ السياسة من الرواية بمثابة النار من الهشيم ، حيث أنّ توظيف المفاهيم السياسية في الرواية يعطي لها أكثر من بعد ، ويساهم في ذات الوقت من توسيع دائرة المتلقين لهذا الموضوع ويخرجه من بوتقة النخبوية ، حيث أنّه من المتعارف عليه أنّ المواضيع السياسية حكر على فئات معينة ، وتعالج على مستوى دوائر خاصة ف (إنسان اليوم مبدعا أو متذوقا ، يمكن أن يعرف بأنّه كائن سياسي ، له إيديولوجيته الخاصة ، أو على الأقل موقفه اللاواعي الذي يعبر عن انتمائه الفكري وبالتالي عن رؤيته السّياسية ، كذلك الحال بالنسبة للرواية المعاصرة ، فقد أصبحت - في الغالب الأعم - تجعل من الموقف السّياسي أو من الأفكار السّياسية المطروحة - على الأقل - إحدى اهتماماتها الأصلية أو البارزة)[7] ، فالمبدع له إيديولوجية خاصة وموقف سياسي من قضايا مجتمعه وأمّته ،فهو قبل أن يكون مبدعا أو كاتبا ، هو ابن البيئة التي يعيش فيها يتأثر بها ويؤثر فيها ، فهو لايكتف بنقل الواقع مسجلا بل يعرض رؤيته بشكل صريح أو رمزي (لذلك كان السّرد أبدا تجسيدا للعالم من خلال رؤية راو يتكفل بتمثيل الواقع من منظوره الخاص طبعا ، لكن هذا المنظور ، حتّى وإن كان ذاتيا يظلّ يحمل جوانب متميزة تتصل بالموضوع الممثل)[8] ، فالرواية - كما سبق وأسلفنا- تجسيد للواقع بمختلف تمثلاته تشكل السياسة أحد أضلعه التي لايمكن أن تغيب الرواية عنها بأي

شكل من الأشكال ، فمن خلال الرواية وتجسيدها للمعطى السياسي ساهمت في تغير مسار أمم ، حيث كان مجرد التفكير في تلك الأمورمن الممنوعات ، وخير مثال في هذا الصدد هو الرواية الفرنسية التي ساهمت بشكل فعال في تغير الرأي العام الفرنسي في تلك الفترة .

4. القضايا السّياسة في رو اية أنا وحاييم:

لقد حملت رواية أنا وحاييم لحبيب السائح عدة قضايا سياسية متعلقة بالواقع والتاريخ ، وكانت أقرب إلى الواقع من المتخيل ، لأنّها تعالج قضية جوهرية في حياة الانسان، وهي الهوية بكلّ مكوناتها، كما أنّها تسرد حقائق مفصلية في حياة الأمّة، تعلقت بمعاناة الشعب الجزائري من همجية الاستعمار، ومحاولته زعزعة هذه الهوية التي وقفت صامدة، واستطاعت في النهاية التغلب على مكر المستعمر .

1.4 العنوان : أنا وحاييم

يعتبر العنوان مفتاح النّصوص الأدبية، ولايمكننا الولوج إليها دون معرفة مقصدية العنوان ، فالمبدع يعمل على تضمين العنوان مجموعة من الدلالات والمقاصد التي تساعد على فهم العمل الأدبي (إنّ العنوان باعتباره قصدا للمرسل يؤسس أولا لعلاقة العنوان بخارجه، سواء كان هذا الخارج واقعا اجتماعيا أو سيكولوجيا وثانيا لعلاقة العنوان ليس بالعمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضا، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل على ضوئها كاستجابة مفترضة)[9] ، أمّا المتلقي فإنّ أول بواية يسبر بها أغوار النّص هي العنوان (أمّا المستقبل فإنّه يدخل إلى العمل من بوابة العنوان متأولا له ، موظفا خلفيته المعرفية في استنطاق دواله)[10] ، ومن هذا الأساس المتلقي أو القارئ يستعين بمختلف ترسباته الفكرية والمعرفية في محاولة فك شفرات ودلالات العنوان ، والمتأمل في عنوان الرواية التي بين أيدينا يجد بأنها تعطي أو تمنح القارئ العديد من التأويلات وهي :

أولا : تركيبة العنوان المتكونة من كلمتين ، ربط بينهما الحبيب السائح بحرف العطف " الواو " الذي يحمل في دلالته اللغوية معاني الربط والجمع ، وهذه أول دلالة من دلالات العنوان التي يمكن أن يستشفها المتلقي ، فالحبيب السائح جعل من العربي واليهودي – الذي أحالنا اليه شيوع الاسم لدى اليهود - في ذات المصير كونهم يعيشون تحت مظلة الاستعمار، رغم أن هذا الأخير أتى به المستعمر ، حيث أن الشعوب على مختلف انتماءاتها الدينية والفكرية ترفض أن تبقى تحت ذل الظلم مهما كان نوعه ، والحرية هي المطلب المشترك بين الشعوب وتسعى إلى تحقيقه بكل الطرق ، فالأنا التي تمثل الذات الجزائرية المقهورة من ذل المستعمر وحاييم الذي يمثل الأقلية اليهودية التي جلبت من أوروبا لعدة اعتبارات تاريخية منها تخليص أوروبا منهم على اعتبار أنهم فئة منبوذة في أوساط الأوروبين ، حيث أرادت الدولة الفرنسية أن تضرب أكثر من عصفور بحجر واحد ، هو تخليص المجتمع الأوروبي من العبث اليهودي ، وتذويب الكيان الجزائري ضمن عدة هويات لتختفي الهوية الجزائرية الإسلامية ، وهذا مالم يتحقق بسبب رفض الأنا الجزائرية أن تندمج مع غيرها .

ثانيا : في قراءة أخرى تتجلى في ابتداء الحبيب السائح بالضمير أنا الذي يدل على الهوية والإنتماء ، ثم ذكر الآخر حاييم باسمه حيث أنّ الأنا تعبر عن الذات الجماعية للمجتمع الجزائري ، بينما حاييم هو تعبير عن الأقليات التي جلبها المستعمر من أجل أن يستوطن هذا الوطن ، ولكن رغم ذلك بقيت الذات الجزائرية محافظة على جذورها الراسخة دون أن تعطي للمستعمر الفرصة لصهرها في قالب آخر، حيث يبرز لنا هذا العنوان دلالة

الصمود والأنفة لدى الأنا الجزائرية ، فرغم أنّ المستعمر صنفها في تلك الفترة في أرذل طبقات المجتمع حيث نجد بأنها تتذيل الترتيب فهي تأتي بعد اليهودي وقبله معمرو فرنسا وقبله رجال الأعمال الذين أتوا للجزائر لعدة أهداف . لكن رغم كل ذلك بقيت الأنا الجزائرية محافظة على أنفتها وعزتها وشموخها . ورفضت أن ترتبط بأي شكل من الأشكال .

ثالثا : من خلال العنوان يمكن القول بأنّ القضية الجزائرية لقيت تعاطف الآخر مع الأنا المظلومة من قبل الآخر المستبد ، وكأننا في هذه الرّواية نجد الأنا الجزائرية في مواجهة مع نوعين من الآخر آخر ظالم مستبد وآخر وقف مع الأنا الجزائرية المظلومة في سبيل استقلالها وخلاصها من المستعمر، وهذا مايدخل المتلقي عند قراءته الأولى للعنوان في تساؤل وحيرة عن سبب جمع المبدع للأنا مع الآخر خصوصا اليهودي الذي يلقى الرفض المطلق لدى المجتمع الجزائري .

وهذا مايجعل من القارئ يضع عدة تأويلات لمتن الرواية وهذا لا يتجل له إلا من خلال الولوج إلى دهاليز النص ، حيث يدرك السبب وراء صياغة العنوان بهذا الشكل .

2.4 الاستعمار:

حمل الاستعمار الفرنسي كلّ أشكال الحقد والتمييز العنصري ضد الجزائريين ، ومارس كلّ أنواع التعذيب التي دلت على وحشيته وهمجيته ، بل وحاول طمس الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري (وعموما لم يكن المقصود من كل ذلك هو إبقاء الشعب الجزائري رازحا تحت وطأة الجهل فحسب ، بل المقصود الأول قبل كلّ ذلك كلّه ، هو فرنسة الجزائريين ، بالمباعدة بينهم وبين اللّغة العربية ، وقطع كلّ صلة تربطهم باللغة العربية ، وبالعرب والإسلام)[11] ، لقد عانت الجزائر من ويلات الاستعمار الذي مسّ كلّ جوانب الحياة ، والتي كانت تهدف في الأساس إلى طمس الهوية العربية الإسلامية ، حيث مارس فيه الآخر المستبد كلّ أنواع الظلم والتمييز العرقي بين أبناء الوطن ، حتى المدارس والتي كان يلتحق بها بعض من أبناء الجزائرين ،مارس فيها المستعمر كلّ أنواع الاحتقار والتمييز العنصري ضد المتعلمين الجزائرين ، فنجد والد ماكس وهو أحد التلاميذ الفرنسين يصف الجزائريين بالأنديجان (أعرف يابني لأنّ السيد سانشير متعاطف مع الأنديجان ، من اليهود والمسلمين)[12] ، لقد أطلق الاستعمار الغاشم على الجزائريين كلّ أنواع الألقاب العنصرية التي تدل على مايحمله الاستعمار من عدوان ، ومايتصف به من همجية ، فالقة من التلاميذ الجزائريين الذين التحقو بالمدارس والتي كان يشرف عليها الاستعمار ، كانوا يتعرضون لكل أنواع العقاب والاضطهاد اللفظي والجسدي ، وهذا ماتعرض له أرسلان التلميذ الجزائري (إنّي أتعرض أكثر من غيري من التلاميذ لمراقبة الحارس مسيو ويل لومباردو الدائمة ، فقد راح ، لأمر أجهله يتحين لي أيّ إخلال بالنظام الداخلي ، لتعريضي للعقاب)[13] ، لم يفرق الآخر المستبد الهمجي بين الصغير بين والكبير ، حتّ المدارس التعليمة ، و إنّ بعض التلاميذ الذين أتيحت لهم الفرصة كانوا يعيشون ويلات الاضطهاد والتمييز ، وتظهر نزعة المستعمر غير الانسانية في تصريح مدير الثانوية التي كان يدرس فيها حاييم اليهودي وأرسلان المسلم (ولكن قل ماطبيعة العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسي ، أنت حايم بن ميمون مواطن فرنسي ، أعلى من أرسلان حنيفي درجة إذا كيف تقبل مصاحبة أنديجان مثله والحديث إليه بتلك اللهجة كأنّه أحد أفراد عائلتك)[14] ، هذه هي نظرة الآخر المستبد الذي استخدم كلّ الوسائل من أجل

يستمر وجوده بنشر العدواة بين الجزائريين وغيرهم ممن سكنوا الجزائر في تلك الفترة ، كما استعمل المستعمر كلّ أنواع الإبادة والتخريب (ذلك القائد كان يسمى الجنرال بيجو ! فعلا ! وهو الذي أمر بتخريب الدار اللطيفة وإحراق المدينة الصّغيرة)[15] ، هذا ماقام به جنود الاستعمار ضد الشعب الأعزل الحرق والتخريب لكلّ ماهو ملك للشعب الجزائري ، وهذا مايدل على همجية المستعمر التي لاتمت للإنساينة بصفة . وركز المستعمر في سياسته على جميع الجوانب وخصوصا النّفسية من خلال العمل على تهميش فئات المجتمع من غير الفرنسي . وهذا مايتجلى في تسمية الانديجان التي جعل من خلالها الجزائري واليهودي في طبقة واحدة لايحق لها أبسط الأمور أوساسيات الحياة ، ومن ظفر بأبسطها فسيعاني الويلات في سبيلها ، وهذا مايتجلى لنا في مسار كل من أرسلان وحاييم التعليمي عبر أطوراه المختلفة حيث أنّهم تعرضوا لكل أشكال التميز العنصري ، فالمستعمر يرى بأنهم طبقة من العبيد خلقوا لخدمة المستعمر وفقط .

3.4 الثورة :

لقد اندلعت الثّورة الجزائرية لتخلص الجزائريين من براثن الاستعمار الغاشم (الثورة الجزائرية التي دامت سبع سنوات ونصف ، لتنال في الأخير الاعتراف من المستعمر الفرنسي وتعيد للجزائر أرض وشعب سيادتها وحريتها المغتصبتين)[16] ، كانت ثورة التحرير ملهمة لكل المبدعين الجزائريين والعرب بشكل عام لأنّها كانت تشكل بالنسبة لهم نموذجا يحتذى به في الخلاص من الاحتلال بكل أنواعه ، فراح الأدباء والمبدعون العرب يكتبون عن الثورة الجزائرية من أجل دعمها ، والتعريف بها بين مختلف دول العالم (ومن المؤكد أنّ هذا الإهتمام تعبير عن الفرحة التي عمت الأوساط العربية بمولد الثورة التحريرية ،التي كانوا يرون فيها خلاصهم من كلّ أشكال الاحتلال والاستغلال الأجنبي ، كما أنّها ترسيخ للتيار القومي المناهض لكلّ السياسات التي تجعل من استقلال البلدان العربية استقلالا شكليا مفرغا من محتواه ، ولكي لاتجهض هذه الثورة فتعدم معها الآمال العريضة التي علقت عليها م قبل الجماهير العربية ، فقد هبت الأصوات والأقلام من جهات الوطن العربي لدعمها ، وتشجيع القائمين عليها في الداخل والخارج)[17] ، الشعب الجزائري المتشبع بالحرية لم يرض بهذا الاستعمار الغاشم ، وكان يخطط في كلّ مرة لتطهير بلاده من دنس هذا المستبد ، فقد شهدت الجزائر ثورات شعبية متتالية أوجعت المستعمر ، ولعل أشهرها في هذا الصدد ثورة الأمير عبد القادر التي أخذت بعدا انسانيا وعالميا ، وبعد ذلك كانت الثورة التحريرة ، والتي انخرط فيها كلّ الجزائريين ، وهذا ماأرعب المستعمر منذ بداية الثورة الأولى (مايحدث يخيفهم حقا ، لأنّهم لم يكونوا يتوقعون كلّ هذا الصّدى الناجم عمّا يجري)[18]، فالآخر الظالم سيطر عليه الخوف منذ انطلاق الشرارة الأولى للثورة التحريرية ، لأنّه كان يدرك أنّه لن يستمر طويلا في أرض غيره ، وأنّ الشعب الجزائري تسري في عروقه دماء الحريّة ، ولن يرض بهذا الاستبداد مهما طال الزمن أو قصر ، وهذا مايتجسد لنا من خلال أطوار الرواية حيث أنّ الحبيب السائح يبين لنا أن المجتمع بمختلف أطيافه ساهم في الثورة فلم يكن المثقف بمعزل عنها وهذا مايتجسد لنا من خلال شخصية أرسلان – البطل المحوري في بناء هيكل الرواية السردي - الطالب الجامعي الذي كان يتابع باستمرار أحداث الثورة وينتظر الفرصة للالتحاق بها ، وهذا العبء الوطني الذي كان يحمله الطّالب الجامعي أرسلان وهو يفكر في مصير الثّورة التّحريرية (و كلما خلوت إلى نفسي ، في مكان ما من الجامعة أو في طريق رجوعي إلى الأستوديو وفي داخله غياب حاييم ، أحاطت بي ظنون سوداء عن الأهالي ، إن كانوا يستطيعون تحمل عبء حرب استنزاف بأرواحهم وما

يملكون)[19]، وكان يدرك أنّ القضية الوطنية هي أكبر قضية يجب أن يهب لها حياته، فما فائدة نجاحه وهو مسلوب الحرية ، فالهدف الأسمى والقضية الكبرى هي الثورة التّحريرة (وستنتهي مقاتلا من أجل القضية الأخرى، وسأجدني متورطا معك رغم أنفك لأنّها قضية مشتركة سندخل معركتها قريبا)[20] ، فالوطن هو القضية الكبرى التي يجب التضحية من أجلها .

4.4 الاستفتاء:

بعد الضربات الموجعة التي تلقاها الاستعمار الغاشم ، والتي أدرك من خلالها أنّه لايمكنه أن يستمر في أرض غير أرضه لجأ إلى استفتاء تقرير المصير(في 3 يوليو 1962 جرى الاستفتاء المقرر في اتفاقيات إيفيان حول إستقلال الجزائر وصوت الشعب الجزائري بالإجماع على الاستقلال)[21] ، وهذا مانقله إلينا السارد من خلال هذا المقطع السردي (بثقل تاريخ و زنه قرن و اثنان و ثلاثون عاما من المجابهة ، كلمتان تقطعان أو تمدان العلاقة القهرية بين مهيمن ومهان : نعم أو لا تريد أن تصبح الجزائر مستقلة!)[22]، إنّ هذا الاستفتاء لم يكن هبة من الآخر المستبد بل نتيجة للمجابهة التي فاقت قرن من الزمن ، والتي لقنته دروسا مفادها أنّ الشعب الجزائري يعشق الحرية ، فالنتيجة كانت واضحة ، ولكن المستعمر الغاشم أراد التغطية على هزيمته المخزسة بهذا الاستفتاء ، والتي كانت نتيجتها الساحقة نعم (وبعد يومين ، أصبح حاييم على الإذاعات _ ماأمكنه التقاطه منها _ وهي تقطع برامجها بين الحين والآخر لتعلن النتيجة الساحقة لكلمة نعم !)[23] ، هكذا كانت نتيجة الاستفتاء ساحقة للحرية ، لكي تستعيد هذه الأرض نورها بعد سنوات من الظلام والظلم والاستعباد ، هذا الجزء الحالك من تاريخ الشعب الجزائري.

5.4 الاستقلال :

فرح الجزائريون بنصرهم الذي تطلب سنوات من الكفاح وتضحية الدّم ، هذا الاستقلال الذي أعاد للجزائريين حريتهم في أرضهم بعد أن سقوها بدماء الجزائيين فأنبتت حرية (تباعنا نشرات الأخبار المفصلة عن الإعلان الرسمي للاستقلال في أكثر من محطة ، كما لو أنّنا أردنا أن نتيقن أخيرا ونهائيا من أنّ الأمر بات حقيقة)[24] ، كان استقلال الجزائر من وحشية الاستعمار الفرنسي بعد ثورة التحرير المباركة التي وهب فيها المجاهدون حياتهم لأجل الوطن ، فخرج الجزائريون إلى الشواع نساء ورجالا وأطفالا ليحتفلوا بحريتهم واستقلالهم (وهاهي هتافات " تحيا الجزائر " ترتفع من وسطهم فتتموج إلى أبعد نقطة في شوارع الخمسة ، ثمّ تخبو ، ثمّ تتتلوها أخرى في إيقاهع كوركرافي مثير وخالب ، تتخله زغاريد قوية وحادة كأنّها حناجر نحاسية)[25] ، علت عبارة تحيا الجزائر فوق كلّ الأصوات لتعلن استقلال الجزائر وحريتها ، وعلت معها زغاريد الحرائر الذين شاركوا في كلّ مراحل الثوّرة التحريرية ، فخرجو إلى الشارع يرتدون كلّ مايرمز إلى الهوية الجزائرية التي ظلت صامدة في وجه المستعمر (ملوحين في وجوههم برايات النجمة والهلال ، هاتفين " تحيا الجزائر " على زغاريد نسائهم بأعلى أصواتهن في العبايات والحياك ، وقد كشفن عن وجوههن)[26] ، خروج حرائر الجزائر بالحياك وهي من الملابس التقليدية التي تميز الهوية الجزائرية ، دليل على انتصار هذه الهوية رغم المدة الطويلة التي قضاها المستعمر في محاربة هذه الهوية ، حتى الأرض الطاهرة فرحت بخروج المستعمر وهذا مابينه السارد في هذا المقطع (فإذا إمرأة تظهر ، في عباءة بيضاء وحزام أحمر وعصابة خضراء ، وكانت ذات ملامح كريمة ، أطلقت زغردة دوّرتها

بكفها حد احتباس أنفاسها)[27] ،كانت ترتدي هذه المرأة ألوان العلم الوطني وتظهر عليها علامات الفرح بالإستقلال ، للدلالة أنّ الجزائر أسترجعت حريتها المسلوبة وانتصرت على الآخر الذي أراد أن يمحو تاريخها ويطمس هويتها .

6.4 الوطنية :

لقد طغت الوطنية على الرّواية لتكسبها انسجاما وتماسكا حيث كان الوطن فوق كلّ اعتبار ، فرغم أنّ أرسلان مسلم إلاّ أنّه لم يرفض حاييم الآخر الذي يختلف معه في الدين ، ولكنّه يتقاسم معه ذكريات الطفولة ، ومن هذا المنطلق نجد بأنّ الشعب الجزائري لم يكن شعبا منغلقا على نفسه يرفض الآخر بمختلف أشكاله ، فالشعب الجزائري شعب مسالم منفتح يتجسد لنا ذلك من خلال العلاقة التي رسمها لنا الحبيب السائح بين كل من أرسلان وحاييم فرغم اختلاف الأديان لكن هذا لم يمنع من تكوين صداقة بينهم ،ومن المقتطفات التي تجسد لنا وعي الشعب الجزائري في تلك المرحلة بقضيته العادلة، وأنّه لايعتدي على غيره دون سبب وجيه كما أنه يحمي من يستجير به فنجد زليخة زوجة أرسلان ترفض أي اعتداء على حاييم الذي ساعدهم في ثورة التّحرير (أنا سأضع حدّا لمن يعتدي على غيره ! ، ودارت حول نفسها دورة كاملة مستطلعة ، أين الزعيم الذي كان يحرضكم على الاعداء على غيركم)[28] ، الوطنية الخالصة تجعل مصلحة الوطن هي العليا وترفض كلّ أشكال العنف والاعتداء على الآخر المسالم ، وتواصل زليخة زوجة أرسلان الجزائري ترسيخها لمبادئ الوطنية وتذكيرها للشعب الذي خرج للاحتفال بالاستقلال بأنّه حرّ، وهذه الحرية مسقية بدم الشهداء الذين رفضوا كلّ أشكال العنف والتمييز والاعتداء ، الذي سلطه الاستعمار الظالم على الشعب الأعزل (أنتم الآن أحرار ، انتهى زمن القهر! أنتم الن أسياد و الأسياد لايعتدون على غيرهم من العزل !)[29] ، يبين لنا السارد من خلال هذا المقطع ، معني الوطنية الحقيقية ، التي تنبذ الاعتداء والظلم والتطرف بكل أشكاله . فالانسان تحكمه أفعاله وهي التي تعطي لنا حسب الحبيب السائح كيف نتعامل معه ، فالحكم على الآخر من منطلق الانتماء الديني يعتبر تنازلا عن أهم مبادئ الثورة التي كانت تنادي بالحرية .

ومن هذا المنطلق نجد بأن دلالة العنوان الأخيرة بأنّ القضية الجزائرية لقيت تعاطف الآخر مع الأنا المظلومة من قبل الآخر المستبد ، وكأنّنا في هذه الرّواية نجد الأنا الجزائرية في مواجهة مع نوعين من الآخر آخر ظالم مستبد وآخر وقف مع الأنا الجزائرية المظلومة في سبيل استقلالها وخلاصها من المستعمر، ومن غير الطبيعي أن يعمل الجزائري على رد هذا الجميل بالعنصرية المقيتة .

7.4 السّلطة :

استعمل الاستعمار الفرنسي السلطة القهرية ليفرض سيطرته بالقوة على الجزائريين باستعمال كلّ أساليب التخويف والترهيب ضد الشعب الجزائري ، هذه السلطة الجائرة التي لم تلق القبول لدى الجزائريين ، بل كانت تعجل بزوال الاستعمار وعودة السلطة المسلوبة إليهم (السلطة مرادف لمفهوم القوة القهرية بل القوة المقبولة اجتماعيا ، لأن استخدامها يأتي في إطار المصلحة العامة التي تهم كلّ أفراد المجتمع)[30] ،تضمنت الرّواية نوعين من السلطة ، وهي السلطة الاستعمارية التي سعت إلى نشر التمييز العنصري والفتنة بين أبناء الشعب الواحد ، ونوع آخر من السلطة وهي السلطة الجزائرية غداة الاستقلال ، والتي دعت إلى نبذ العنف والتطرف بكل أشكاله ، فالسلطة الاستعمارية مارست كلّ أنواع التفرقة والعنصرية بين الأروبيين أنفسهم على

أساس الانتماء الديني فجعلت من الأوربي المسيحي سيد والأوروبي اليهودي في مقام الخادم وكذلك السكان الجزائريين فالذي كان تحت سلطتها ويخدمها غير الذي كان لايقف في صفها ، حيث اطلقت على كل من اليهودي والجزائري الخارج عن طوعها لقب الأنديجان ، وهذه العنصرية انطلقت من المدارس مثل ماكان يحدث مع ارسلان في المدارس الفرنسية ، وصولا إلى طريقة بناء مساكن الأروبيين حتى تكون مختلفة عن مساكن الجزائريين (ذلك حتى يظل النموذج المعماري المعبر عن الفارق بين الجنس الأروبي وجنس الأنديجان)[31] ، هذه هي السّلطة الاستعمارية وسايسة التميز العنصري حيث كان الأروبيون يسكنون المدن ، أمّا الجزائريون فرمى بهم إلى الأرياف وأطراف المدن (كلّ ما أنشأ من بنيان لصالح الأروبيين في البلد كان لتأكيد ذلك ، وإلاّ لماذا ظلّ الأهالي معزولين في أحيائهم الفقيرة عند أطراف المدن وفي أكواخهم البائسة بالأرياف من مزارع الكولون ؟)[32] ، التميز العنصري والتفرقة ، هي التي كانت كانت تميز السّلطة الاستعمارية بالإضافة إلى جرائم القتل والتعذيب والحرق التي انتهجها الاستعمار لنشر الخوف والذعر وسط الأهالي ، أمّا غداة الاستقلال فقط تغيرت السلطة ، حيث سعت إلى نبذ التطرف والتفرقة والدعوة إلى الوطنية ، وهذا ماجاء على لسان أرسلان الجزائري المسلم ، حينما أراد مجموعة من المتجمهرين الاعتداء على زميله حاييم غير المسلم (السيد حاييم بنيميمون هذا الذي جاء هؤلاء الأشقياء ليعتدوا عليه ويسطو على بيته أصبح جزائري مثلكم ، مثلي ، مثل هذه المرأة أمامكم ، قلت للمتجمهرين الذين بدو الآن أكثر انتباها)[33] ، فأرسلان الذي أصبح رئيسا للبلدية وهو يمثل السلطة الجزائرية غداة الاستقلال ، والذي رفض كلّ أشكال العنف والتطرف والتميز العنصري ، وسعى إلى فرض الهدوء والأمن والاستقرار ،إذا لقد تمايزت السلّطة في الرّواية بين السّلطة الاستعمارية والتي سعت منذ احتلالها الجزائر إلى نشر التفرقة والتميز العنصري بكل أشكاله ، والسّلطة الجزائرية غداة الاستقلال والتي نبذت كل أنواع التّطرف والتّفرقة .

5. الخاتمة :

يتبين لنا من خلال هذه الدراسة أنّه لايمكن فصل الرواية عن المجتمع ، فهي شريحة منه، ينقل فيها المبدع كلّ أفكاره حول مجتمعه، وقد ارتبطت الرّواية الجزائرية المعاصرة المجتمع الجزائريّ من خلال عرض أهم القضايا المتعلقة به، وهذا ماوقفنا عليه من خلال بحثنا هذا، حيث حملت رواية أنا وحاييم عدة قضايا مهمة في تاريخ المجتمع الجزائري ، كما أبرز الرّوائي الحبيب السائح ، رؤيته السّياسية في قالب فني إبداعي ، ويمكن أن نلخص نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية:

- أبرزرت رواية أنا وحاييم صراع الأنا مع الآخر في فترة إستعمارية شهدت حضورا كبيرا للآخر بتنوع ثقافاته وأهدافه ومرجعياته الدينية والسياسية.
- أظهرت الرّواية مدى تمسك الأنا بوطنيته والدفاع عنها رغم الظروف الصعبة التي مرت بها والتحديات التي تهدف إلى طمس هذه الهوية بكل الطرق.
- كانت الثورة التحريرة تعبيرا عن قوة الهوية الضاربة المتجذرة في عمق التاريخ المتعطشة إل الحرية والاستقلال.

- قدمت الرواية نموذجا عن الأنا المعتز بمقوماته المتعايش مع الآخر المتسامح مع مختلف الثقافات في حدود ماتفرضه مقومات الهوية.
- ظلت الرواية الجزائرية المعاصرة تعالج قضايا سياسية متعلقة بالفترة الإستعمارية وهذا لجسامة هذا الخطر الذي ألم بالمجتمع الجزائري.
- حددت الرواية معالم الهوية التي تحافظ على وجودها وتحميه من كلّ محاولات الطمس وفي نفس الوقت تنفتح على الآخر.
- حاول الاستعمار الغاشم تشويه هوية المجتمع الجزائري من خلال جلب عدة ثقافات إلى هذا المجتمع ولكن همجيته وظلمه جعلها تنقلب ضده.

6. قائمة المصادر و المرجع:

- إبراهيم الحجري، الرواية العربية الجديدة ، السرد وتشكل القيم ، ط1، alnaya للدراسات والنشر والتوزيع، 2014.
- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدلولي، القاهرة.
- أحمد محمد عاشوراكس، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاتيطاني ،ط1، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009.
- جيسي ماتز، تطورات الرواية الحديثة، ترجمة لطيفة الدليمي، ط1، دار الهدى، 2016.
- الحبيب السائح، رواية أنا و حليم،ط1، دار ميم للنشر، الجزائر.
- ر. م ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة ، ترجمة جورج سالم ، ط1، منشورات عويدات، 1992.
- زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية1954-1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.
- سعد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012.
- طه وادي، دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة،1994.
- طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 2003.
- الطيب بوعزة، ماهية الرواية ، ط1، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- عبد الكامل جويبة، قضايا الثورة الجزائرية في مجلة الآداب البيروتية (1954-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
- محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقا الإتصال الأدبي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- مولود زابد الطيب، علم الإجتماع السياسي ، ط1، منشورات السابع من أبريل ، ليبيا.
- كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمر1954، الجزائر، 2007.

7. الهوامش:

[1]- الطيب بوعزة، ماهية الرواية ، ط1، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ، ص10.

[2]- جيسي ماتز، تطورات الرواية الحديثة، ترجمة لطيفة الدليمي، ط1، دار الهدى، 2016 ، ص08.

[3]- ر. م ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة ، ترجمة جورج سالم ، ط1، منشورات عويدات، 1992 ، ص05.

[4]- جيسي ماتز، المرجع السابق، ص13.

[5]- إبراهيم الحجري، الرواية العربية الجديدة ، السرد وتشكل القيم ، ط1، alnaya للدراسات والنشر والتوزيع، 2014 ، ص14.

[6]- طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 2003 ، ص06.

[7]- طه وادي، دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة،1994 ، ص 221.

[8]- سعد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012 ، ص 171.

[9]- محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقا الإتصال الأدبي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 21.

[10]- محمد فكرى الجزار، المرجع السابق، ص 19 .

[11]- أحمد محمد عاشوراكس، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاتيطاني ،ط1، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص 150.

[12]- الحبيب السائح، رواية أنا و حليم،ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، ص 16.

[13]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص22.

[14]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 106.

[15]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 106.

[16]- كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمر1954، الجزائر، 2007، ص09.

[17]- عبد الكامل جويبة، قضايا الثورة الجزائرية في مجلة الآداب البيروتية (1954-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص ص 85-86.

[18]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 131.

[19]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 127.

[20]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 128.

[21]- زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية1954-1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص96.

[22]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 213.

[23]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 213.

[24]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 217

[25]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 219

[26]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 237.

[27]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 240.

[28]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 221.

[29]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 221.

[30]- مولود زابد الطيب، علم الإجتماع السياسي ، ط1، منشورات السابع من أبريل ، ليبيا، 2007 ، ص76.

[31]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 232.

[32]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 232.

[33]- الحبيب السائح، المرجع السابق، ص 226.